ملامح من حياة اللغة العربية

الدكتور مناف مهدي محمد

تعد اللغة العربية من اللغات الانسانية الراقية لدقة تعبيرها ووسع معانيها ووفرة مفرداتها فهي ذات خصائص فنية مما تجعلها تسمو على غيرها من اللغات الأخرى، ومنها شقيقاتها في اللغات السامية.

ومن الحقائق اللغوية التي تظهر مكانة اللغة العربية وسموها على غيرها من اللغات :

1 ــ ما أقرضته[1] اللغة العربية لسواها من اللغات البشرية أكثر من اقتراضها[2] منها «فما اقتبسته العربية من مختلف اللغات لا يجاوز ثلاثة آلاف لفظ على أكبر الاحتمالات، على حين دخل تلك اللغات من العربية، وغيرها، شيء كثير لم يحصه حتى اليوم الراسخون في علم اللغات[3].

2 ــ إن استجابة اللغة العربية للمطالب العلمية والاجتماعية والحضارية بوجه عام لبرهان قوي على ما تميزت به من سعة مادتها وغزارتها وتنوع أقيستها وطرائقها للوضع والاشتقاق من الألفاظ والتراكيب، وفي تعدد وسائلها لتأدية ألوان المعاني والدلالات، فهي عون لمن ينشد عندها التعبير عن كل ما يجد في الحياة، وما يرد في الخواطر من أفكار وآراء تجسدها ألفاظ وتعابير مختلفة، تطرب السامع، وتتلاعب بأحاسيسه وعواطفه عندما تكون بثوب شعري جميل.

* * *

يقول أحد الباحثين إنّ أهم مزيّة حفظت للغة العربية شخصيتها بين أخواتها الساميات في عهدها الأول قبل مجيء الاسلام هي عزلتها عن الشعوب الأعجمية واكتفاؤها بمقدرتها الذاتية على التعبير، وعلى التخير والانتقاء في موطنها عينه وبيئتها نفسها، وبين شقيقاتها اللهجات الفصحى التي تبادلت معها التأثر والتأثير بينما كانت الساميّات يتفرقن عن موطن الساميّة الأم ويبتعدن في الوقت نفسه عن الأصالة والبصفاء»[4].

ومن أهم النتائج الحسنة لتلك العزلة هي محافظتها على الاعراب الكامل، ومناسبة حروفها لمعانيها، وثبات أصواتها، وتنوع صرفها، واشتقاقها،

وتعدد أبنيتها وصيغها، وكثرة مصادرها وجموعها، وغنى مفرداتها بالاشتراك والترادف، والتضاد، واستعدادها الذاتي للنحت والتوليد والتعريب والاشتقاق..و«على الرغم من أنها من أحدث اللغات السامية آدابا فإنها قد احتفظت بخصائص اللسان السامي الأصلي ــ بما في ذلك التصريف ــ أكثر مما احتفظت العبرية وأخواتها من اللغات الساميّة الأخرى.

ومن هنا كانت اللغة العربية أحسن مدخلا لدراسة اللغات السامية»(5) لذلك بقيت اللغة العربية بتراثها الخالد أقوى من محاولات أعدائها والحاقدين عليها لتنحيتها من برجها العاجي بدعواتهم السافرة لنبذ الفصحى في الكتابة، واللجوء إلى العامية، أو بدعواتهم لترك الاعراب، وغيرها من الدعوات الضالة(6)، عن سوء قصد، أو بحسن نية مع سوء تقدير.

ويقول المستشرق الألماني يوهان فك : «لقد برهن جبروت التراث العربي التالد الخالد على أنه أقوى من كلّ محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر».(7) فهذه اللغة بتراثها الخالد قد عرف عنها وسائل متعددة لتنميتها منها :

الوضع والارتجال، القياس اللغوي، الاشتقاق، النحت، القلب والابدال، المعرب والدخيل، تنوع الدلالة بين الحقيقة والمجاز، المشترك والتضاد، والترادف. وغيرها(8).

* * *

واللغة العربية الفصحى كغيرها من اللغات الأخرى تفرعت عنها لهجات، لأنها انتشرت في مناطق واسعة متباعدة من شبه الجزيرة العربية مما جعلها لهجات مختلفة، فمن «المقرر في قوانين اللغات أنه متى انتشرت اللغة في مساحة واسعة من الأرض وتكلّم بها طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلا، فلا تلبث أن تنشعب إلى عدة لهجات ولم تفلت اللغة العربية ــ وما كان يمكن أن تفلت ــ من هذا القانون العام فقد انقسمت منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات واختصت كل قبيلة وكل جماعة متحدة في ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة من هذه اللهجات»(9).

ونرى مظاهر اختلاف هذه اللهجات في المشرك(10) وفي التضاد(11)، وفي الترادف(12)، وفي القلب(13)، وبعد أن تصارعت هذه اللهجات لكثرة الاحتكاك بفضل التجارة وتبادل المنافع والتنقل وراء الكلأ، ومجاورة القبائل العربية بعضها لبعض، وكذلك تجمعها في المواسم المختلفة في الحج والأسواق، والحروب الأهلية، ظلت في صراع مرير حتى كتب النصر أخيرا للهجة القرشية لأسباب مختلفة(14). منها : العامل الديني، والسلطان الاقتصادي، والنفوذ السياسي، ولكونها أوسع اللهجات العربية ثروة وأغزرها مادة وأرقها أسلوباً وأقدرها على التعبير، لذلك طغت على جميع اللهجات الأخرى في المحادثة. وانفردت بميادين الأدب شعراً وخطابة ونثراً، فأصبح الشاعر يبتعد عن النظم بلهجة قبيلته، فينظم قصيدته بلهجة قريش والسبب في ذلك يتضح من قول الفراء : «كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات جميع العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ»(15).

هكذا تمت نشأة اللغة العربية المشتركة قبل الاسلام، وإن مجيء الاسلام ونزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين قوى من مكانة اللغة العربية وساعد

على انتشارها بين الأمم الأخرى من فرس ورومان ويونان.

واللغة العربية المشتركة النموذجية الأدبية لم تكن بعيدة عن آثار بقية اللهجات فهي ـــ مثلا ـــ لا تتضمن جميع الخصائص الخاصة بإحدى القبائل دون أن تطعمها بما استظرفته من خاصيات معينة لقبائل أخرى كأخذ اللغة العربية المشتركة خاصية تحقيق الهمز من لهجة تميم وترك خاصية تسهيل الهمز التي هي من خصائص لهجة قريش.

والمعروف أن اللغويين العرب أخذوا اللغة من «قيس وتميم وأسد، فإنّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف، ثم هُذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم»[16].

وهذه القبائل ـــ بطبيعة الحال ـــ نزر قليل من مجموعة كبيرة من القبائل العربية المنتشرة في أرجاء الجزيرة العربية المترامية الأطراف، ومع أنّ غايتهم الحرص الشديد على سلامة اللغة العربية من تفشي اللحن في كلام الأعراب الذي أخَذَ يدبّ على ألسنتهم لاختلاطهم بالأعاجم، لكن هذا القيد بما فيه من حرص شديد على سلامة اللغة العربية قد كبّل اللغة ـــ أحياناً ـــ بطوق حديدي منعها من استنشاق بعض ما تحتاجه من ألفاظ أو تعابير مختلفة، كما أغلق في وجه الباحثين أبواباً واسعة هم بحاجة لولوجها لتفسير بعض الظواهر اللهجية الغامضة التي جاءت مبتورة حيناً أو ممسوخة أحياناً أخرى.

نمو مصطلحات جديدة في اللغة العربية

إن اللغة هي مادة حية وظاهرة اجتماعية تخضع كما يخضع غيرها من ألوان النشاط الانساني إلى عوامل الزمن فتتأثر سلباً أو إيجاباً.

وهي وثيقة الصلة بالانسان وبيئته، وليست هي رابطة بين أعضاء مجتمع واحد بعينه، وإنما هي عامل مهم للترابط بين جيل وجيل. وانتقال الثقافات عبر العصور لا يأتي إلا بهذه الوسيلة العجيبة[17].

واللغة العربية ظاهرة اجتماعية كبقية الظواهر الاجتماعية الأخرى تخضع لقانون التطور والنمو، فمرت بمراحل وأطوار عند تطورها ونموها منذ العصر الجاهلي ـــ مروراً بالعصر الاسلامي بمختلف مراحله ـــ حتى تفرعت إلى لهجات عامية في مختلف المناطق العربية فقد عُرف في الجاهلية انتشار الألفاظ المعقدة وما تنافر من حروف اللفظ، أو كلمات الجملة. أمثال السباسب، والبسابس، والذعلبة، والكوماء والأجرد، وكقول امرىء القيس :

غدائره مستشزرات إلى العُلا
تضلّ المَدارى في مثنًى ومرسل[18]

أو كقول أعرابي سُئل عن ناقته فقال : تركتها ترعى الهعخع [19]، وغير ذلك من الألفاظ المتصفة بالخشونة، مبتعدين في كلامهم عن الألفاظ الجزلة السهلة. كل ذلك بتأثير محيطهم وبيئتهم الصحراوية الجافة، وتبعاً لظروف معيشتهم وأخلاقهم المتصفة بالغلظة والخشونة لأنهم مفترشون القفار وملتحفون السماء، قانعون بشظف العيش، وخشونة الملبس، مع احتفاظهم بتقاليدهم الجاهلية في الأخذ بالثأر والغزو، والحروب الطويلة الأمد.

ثم بَعَثَ الله نبيّ الاسلام محمد ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ هادياً ومرشداً ورحمة للعالمين فجاء بالدين الاسلامي الذي أثرت أحكامه وتعاليمه الجديدة في نفوس الأعراب، وانطبع ذلك في لغتهم فصاغوا ألفاظاً جديدة، خاصة بعد نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين «أعان اللغة العربية على اكتساب قدسية التعبير عن وحي السماء... فأضفى عليها من جلاله، ونفخ فيها من سلطانه، ومن ثم كانت لغة للدين كما

هي لغة للدنيا»[20] فانتشرت كلمات : الصلاة، الزكاة، الصوم، العبادة، الثواب، العقاب، الايمان، الاعتقاد، الرحمة، المغفرة، وغيرها من الألفاظ الدينية والقرآنية.

وإنّ كثيراً من هذه الألفاظ قد عُرفت قبل البعثة النبوية المباركة، وخاصة عند النصارى قبل ميلاد النبي محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ ولكنّ استعمالها كان يختلف عن الاستعمال الجديد، فلما جاء الاسلام أكسبها معنى جديداً فصار للفظ ــ كما يقول ابن فارس[21] ــ «اسمان : لغوي، وشرعي».

وحدثنا ابن فارس ــ أيضاً ــ عن الألفاظ التي أماتها مجيء الاسلام لأن مدلولاتها قد اختفت من حياة المجتمع لاعتناقهم الدين الجديد كما تحدث عن ألفاظ أخرى جديدة المعاني قديمة الألفاظ تولدت معانيها من مفاهيم، وتعاليم الدين الجديد، فقال : «كانت العرب في جاهليتها على إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم... فلما جاء الله جل ثناؤه بالاسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شُرعت، وشرائط شُرّطت، فعفّى الآخر الأول، وشُغل القوم بعد المغاورات والتجارات... بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»[22].

من هذا نفهم أن القرآن الكريم قد هذّب ألفاظ الأعراب ورقّق كلماتهم، وبعث فيهم روح الحب والتعاون والاخلاص، فقال تعالى : «وتَعَاونوا على البِر والتّقوى ولا تَعَاونوا على الاثم والعدوان»[23].

بهذه الكلمات جَلاَ القرآن الكريم صدور الأعراب الجلدة، وأكسبها رِقّة صوّرتها ألسنتهم بألفاظ جزلة سهلة.

فقضى ناموس بقاء الأصلح ــ كما يقال ــ على الألفاظ الخشنة والتراكيب الثقيلة فتهذبت ألسنتهم بالألفاظ والمصطلحات الاسلامية الجديدة.

وليس ما أحدثه الاسلام من معان جديدة لبعض الألفاظ العربية يقف عند المعاني الدينية، بل أضاف إليها معاني أخرى لعلوم ومصارف مختلفة لم يعرفها العرب من قبل، نشأت نشأة قرآنية فظهرت مصطلحات النحو والعروض إلى جانب مصطلحات الفقه والتفسير، كل ذلك له اسمان لغوي وصناعي، أي له مدلولان : أحدهما لغوي بالوضع، والثاني اصطلاحي بالنقل.

إن اللغة العربية بعد ظهور الاسلام قد توسّعت في الدلالات المجازية لكي تنمو وتلبّي حاجات الحياة فنقلت الألفاظ من الاستعمال الحسّي إلى الاستعمال المجازي والاصطلاحي وكذلك تطورت الأساليب العربية، فخرجت عن أصل الوضع اللغوي إلى معان مجازية وأساليب بلاغية لملاحظة فنية جمالية.

ومثال ذلك خروج أساليب الخبر من دلالتها الأصلية إلى الدعاء والاسترحام والتفجع. وأساليب الأمر والنهي والاستفهام عن معانيها اللغوية الأولى، إلى الزجر والتقرير والالزام، أو الجحد والانكار والعدول في التعبير عن أصل استعماله اللغوي بالاستعارة والمجاز والكناية[24].

بهذه الطريقة أخذت اللغة العربية بالتطور من حال إلى آخر تبعاً للظروف والأحداث فتركت الحوشي والغريب والثقيل من الألفاظ وابتعدت عمّا تنافر في حروف اللفظ واتجهت صوب تهذيب اللغة وتنقيتها من الألفاظ الثقيلة وذلك باستعمال الألفاظ اليسيرة طلباً للسهولة والتيسير.

أول بوادر اللحن :

إن ما تناقلته المصادر المعتمدة من أخبار بداية

اللحن والانحراف عن مقاييس العربية يعود في الأغلب إلى دخول الشعوب غير العربية في الاسلام وامتزاج العرب بغيرهم من الشعوب الأخرى التي اعتنقت الدين الجديد فوقع التأثير والتأثر وزاغت الألسن عما كانت عليه من فصاحة تامة وسليقة مطلقة فشاب أصوات العربية شيء من لُكنات أعجمية وحرفت الصيغة عن شكلها الحقيقي واستعمل الكلم في غير مواضعه، ويروي لنا ابن فارس (المتوفى سنة 395 هـ) أن «اللحن بمعنى الخطأ محدث، لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة»[25] كما يتضح ذلك من قول أبي بكر الزبيدي[26] (المتوفى سنة 379 هـ) : «ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الاسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجاً، وأقبلوا إليه أرسالاً واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة ففشا الفساد في اللغة العربية واستبان منه في الاعراب الذي هو حليّها، والموضح لمعانيها».

ويقال : إن أوّل بوادر اللحن والعُجمة ظهر في عهد الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ فقد قال أبو الطيب[27] اللغوي : «اعلم أنّ أوّل ما اختل من كلام العرب فاحوج إلى التعلم الاعراب، لأنّ اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روينا أن رجلاً لَحَنَ بحضرته فقال : (أرشدوا أخاكم فقد ضلّ)[28] وهذا صُهَيْب بن سنان وهو من صحابة الرسول (ص) كما يروي لنا ذلك ابن حجر في الاصابة[29] وذكر أنّه كان ينطق العربية بلُكنة بيزنطة وذلك لأنّ البيزنطيين قد اختطفوه وهو صبي فتأثر بذلك لسانه، وهو يقول : «إنك لهائن يريد إنك لحائن»[30] كما ذكر لنا الجاحظ عن الشاعر سحيم المشهور بعبد بني الحسحاس وقال : إنه كان يرتطن لُكنة أجنبية[31] كما سُجلت بعض الروايات في اللحن بعد عهد الرسول. وفي عهد الخلفاء الراشدين انتشرت ألفاظ جديدة كالديوان، وأمير المؤمنين والخليفة، وغيرها من الكلمات التي تطلبتها الحياة الجديدة.

بوادر الاقتراض اللغوي :

إن الفتوحات الاسلامية شرقاً وغرباً أدّت إلى اختلاط العرب بالعجم، فاختلطت أفكار العرب بأفكار غريبة عن بيئتهم وبطباع تختلف عن طباعهم، وكان من نتيجة هذا الاختلاط أن احتاجوا إلى ألفاظ يعبرون بها عن هذه الأفكار الجديدة، والطباع الغريبة. ولمّا لم يجدوا مثل هذه الألفاظ ولو بطريق النقل أو المجاز، لجأوا إلى الاقتراض اللغوي من لغات تلك الشعوب، ولا يُعدّ هذا عيباً في اللغة، فإن أية لغة تواجه تجديداً لا عهد لها به وليس في ألفاظها ما يدل عليه تلجأ إلى اقتراض ما تحتاج إليه من ألفاظ، وقد فعلت لغتنا العربية ذلك فاقترضت من الفارسية والهندية والرومية وغيرها من لغات الشعوب التي اتصلت بها بعد خروجها من عزلتها في الجزيرة العربية، ثم أن بعض ما اقترضته من الألفاظ الأجنبية أبقت عليه بصورته دون تغيير وذلك ما أطلق عليه المعجميون اسم الأعجمي أو الأجنبي أو الدخيل.

وهناك ألفاظ أجنبية استعملها العرب بعد أن أخضعوها لنهجهم اللغوي، وهذا ما أسموه : المعرب كما قال الجوهري : [32] «تعريب الاسم الأعجمي : أن تتفوه به العرب على منهاجها».

وينبغي أن نفهم أن انتقال الكلمات الأعجمية من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية لم يكن ينظر إليه على أنه عجز أو تقصير منها، وإنما كان يُنظر إليه أنّه اتساع فيها ونمو لها. لذلك نرى كلمات أعجمية راجت في البيئة العربية وتغلبت على مرادفتها في لغة العرب، ربما لأنّها كانت أخفّ وأرقّ وأيسر في النطق من نظيراتها العربية.

ومن هذه الكلمات الأعجمية[33] :

- (الابريـــق)[34]، ومرادفـــه العـــربي : (التأمورة)[35]
- (الهاون)[36] ومرادفه العربي : (المِنْحاز)[37] أو المهراس[38] واللفظ الأخير لايزال يستعمل في اللهجة الجزائرية وينطقونه (مهراز) بإبدال السين زايا.
- (الطاجن)[39] ومرادفه العربي : (المقلى)[40].
- (الـــمِسك)[41] ومرادفـــه العـــربي : (المشموم)[42].
- (السُّكَّر)[43]ومرادفه العربي : (المِبَرّت)[44]
- (النَّرجس)[45]ومرادفه العربي : (العَبْهَر)[46].
- (الوَرْد)[47]ومرادفه العربي : (الحَوْجَم)[48].
- (البـــاذنجان) ومرادفـــه العربي : (المَعْد)[49]، و(الأنب)[50].
- (الخِيـــار)[51] ومرادفـــه العربي: (القَثّد)[52]، و(القِثّاء)[53].
- (التُّـــوت)[54] ومرادفـــه العربي : (الفِرْصَاد)[55].

وهناك كثير من الأمثلة الأخرى تتضح معالمها عند تحقيقها بالرجوع إلى أمهات اللغة.

الترجمة

وجاء العصر الأموي، وهو يحمل حدثين مهمين لهما تأثير عميق في نمو اللغة العربية وانتشارها.

أولهما : تعريب الدواوين على عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65 هـ ـــ 86 هـ)

والثاني : أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز (99 هـ ـــ 101 هـ)بتدوين الحديث النبوي الشريف.

وجاء الحدث الثالث في العصر العباسي عندما أمر الخليفة المأمون (198 هـ ـــ 218 هـ) بنقل كتب الفلسفة من اليونانية إلى العربية[56].

وفي هذا العصر ـــ أي العصر العباسي ـــ بلغت حركة الترجمة أوجها حين عُرّبت ألفاظ الطب والطبيعة والكيمياء والفلك والرياضيات والفلسفة، ولا يزال كثير من هذه الألفاظ صالحاً للتعبير عن هذه العلوم إلى يومنا هذا[57].

فقد استطاعت اللغة العربية أن تنقل التراث الحضاري عندما اتصل العرب بالتراث العلمي القديم اليوناني والهندي والفارسي، ولم تعجز الفصحى عن ترجمته، ولم تكن اللغة عقبة في سبيل حركة الترجمة في ذلك الوقت. فتُرجمت كتب في الطب والكيمياء وكذلك في الفلك والنجوم كما استوعبت الحركة العلمية آنذاك علوم الفلسفة والطبيعة والفلك والرياضيات. وبعد أن هضمتها جيداً، بدأت بتمثيلها على ضوء الفكر الاسلامي الأصيل، فأضافت إلى العلوم التي وصلت إليها أشياء جديدة مع الاحتفاظ ـــ بكل أمانة ودقة ـــ بتلك العلوم ثم انتقلت ـــ أخيراً ـــ تلك العلوم إلى العالم الأوربي عن طريق الأندلس وصقلية، وشمال إفريقيا، وسواحل فلسطين، كما شهد بذلك المنصفون من المؤرخين الأوربيين، فذكروا أن المرحلة الرائدة لعصر العلم الحديث تمت على أيدي العلماء العرب، في العصر القيادي للحضارة الاسلامية، وقد اعتمدت أوربا وجامعاتها في بدء نهضتها على كتب ومناهج عربية منها على سبيل المثال لا الحصر :

كتب جابر بن حيان (ت 198 هـ) في الكيمياء والخوارزمي (ت 236 هـ) في الحساب والجبر والمقابلة. وابن البيطار الطبيب (ت 646 هـ) والرازي (ت 311 هـ) وابن سينا (ت 428 هـ) في الطب والتشريح والحسن بن الهيثم (ت422 هـ) في البصريات.

ومؤلفات أطباء أندلسيين كأبي الواقد، وأبي القاسم الزهراوي (ت411 هـ).

ومثل الشريف الادريسي (ت 457 هـ) في الجغرافيا.

وغيرهم[58] كثيرون ممّن ألّفوا كتبهم باللغة العربية ودرست في أوربا فكانت هي المنار التي أضاءت للغرب طريق العلم، وأخرجتهم من ظلمات العصور الوسطى إلى عصر النهضة الحديث.

حركة تنقية اللغة :

نضجت في العصر العباسي حركة تنقية اللغة العربية نضجاً تاماً، خاصة في عهد هارون الرشيد كما يشير إلى ذلك المستشرق يوهان فك[59]، ويضيف قائلا : «كان عصر هارون الرشيد هو العصر الذي وجدت فيه لغة الشعب للمرة الأولى مساغاً في التعبير الأدبي، فكما في قصة جدّ معروفة، يروى أن هارون الرشيد بعد أن قضى على البرامكة منع الناس أن يبكوا القتلى في مراث تشيد بذكرهم، ولكن جارية لجعفر بن يحيى بن خالد بكت سيدها القتيل في قصيدة نظمتها باللسان الشعبي تختم أبياتها بقولها يا مواليا»[60].

وإذا كانت اللغة العربية الفصحى في أكثر الأوقات هي لغة العلم والأدب في حواضر الدولة العباسية، فإن اللغة الفصحى لم تستعملها الطبقات الدنيا أو الوسطى في حياتها اليومية[61] وهو أمر طبيعي عرفته حياة الجاهلية أيضاً، فهناك مقام الأدب والعلم يستوجب المستوى الفصيح، وهناك مقام التخاطب العادي والحوار الشعبي، ولا يتطلب هذه الفصحى المقيدة بضوابط كثيرة، وتختلف المستويات باختلاف المتكلمين.

كما أن اللحن لم يسلم منه حتى بعض كبار علماء اللغة العربية حين لا يتحفظون في كلامهم فها هو ذا الفراء (المتوفى سنة 207 هـ) يلحن في مجلس الرشيد ويعلل ذلك بقوله : «إن طباع أهل البدو الاعراب، وطباع أهل الحضر اللحن، فإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لَحَنْت»[62]. واللغة الدارجة التي كانت تتفاهم بها الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن منذ نشوئها في عصر الفتوحات الاسلامية الأولى، تعدّ عربية مولّدة في نظر التاريخ اللغوي ونماذج هذه العربية المولدة تتضح في العربية التي نجدها في الأدب اليهودي والنصراني في القرون الوسطى التي نشأت من الاستعمال اللغوي عند طوائف اليهود والنصارى خارج الجزيرة العربية، الذين لا صلة لهم بالبادية وعربيتها، بل استخدموا منذ البدء العربية المولدة الدارجة، التي نشأت من حياة العرب ومخالطتهم للشعوب التي أخضعوها، فصارت لغة التخاطب والتفاهم، والتي تتميز بسمات وخصائص مشتركة يمكن تلخيص ظواهرها اللغوية بما يأتي[63] :

1 ــ في الأصوات، حيث مالت إلى السهولة والتيسير كحذف الهمز الذي استفاض في العصر الجاهلي في لهجة الحجازيين، وأخذ في العربية المولدة صورة واسعة ذات أثر واضح في صوغ القوالب.

وتخففت من الأصوات التي تحتاج إلى جهد عضلي خاصة تلك الأصوات التي لا نظير لها في اللغات الأخرى. فتغير حرف الضاد ــ وهو خاص بالعربية بحيث يسمى العرب الناطقين بالضاد ــ تحول إلى ظاء أو دال مفخمة أو عادية، أو طاء، أو لام مفخمة.

وهناك تغير صوتي آخر في العربية المولدة وهو يتعلق بالسين والصاد، ففي العربية القديمة نجد صيغاً مزدوجة مثل صراط وسراط[64]، وصويق وسويق[65]، وفي لهجة بلعنبر[66] ــ أحد أفخاذ تميم ــ يكاد يوجد هذا التغيير باطراد إذا جاء بعد السين

أحد الحروف الأربعة التالية : (ط، ق، غ، خ) ولو بفاصل كما روى ذلك أبو الطيب اللغوي[67] نقلاً عن الفراء وعلل ذلك بقوله : «إن الطاء حرف تضع لسانك في حنكك فينطبق الصوت فتنقلب السين صاداً صورتها صورة الطاء واستخفوها ليكون المخرج واحداً كما استخفوا الادغام. ويبدو أن هذا التعليل موافق لما ذهب إليه المحدثون[68] حيث ذكروا أن حروف الاطباق أو التفخيم — وهي الصاد والضاد والطاء[69] وأضاف بعضهم[70] الخاء والغين والقاف — حين النطق بها يرتفع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق بحيث لا يتصل به على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق[70] لذلك أبدلوا الصاد بالسين كي يرتفع اللسان باتجاه واحد.

وقد ذهب متأخرو النحاة[71] إلى تعميم جواز ذلك التغير الصوتي بالشروط المذكورة وعلل ابن يعيش[72] سبب ذلك التغير بقوله : «إن هذه الحروف مجهورة مستعلية والسين مهموس مستفل فكرهوا الخروج منه إلى المستعلى لأن ذلك مما يثقل فأبدلوا من السين صاداً لأن الصاد توافق السين في الهمس والصفير وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء فيتجانس الصوت ولا يختلف» ويقصد بقوله : «الاستعلاء» علو مؤخر اللسان في اتجاه الطبق وهو يعني الاطباق أو التفخيم حسب رأي المحدثين[73].

ونجد في بعض الألفاظ المولدة قد استعملت الصاد بدلاً من السين في أحوال لم تتوفر فيها الشروط السالفة مثل : (صنَام) بدلا من (سنام). كما نجد في اللهجة الجزائرية[74] الحديثة يقولون (قاصح) بدلا من (قاسح) أي صلب فاستعملت الصاد بدلاً من السين والصاد والسين صوتان رخوان مهموسان ينطقان بطريقة واحدة مع فارق واحد هو أن مؤخر اللسان يرتفع ناحية الطبق مع الصاد ولا يرتفع مع السين، فالصاد صوت مطبق والسين صوت مرقق وقد حصل هذا التغير بعد أن حدث العكس حيث تقدمت القاف على السين.

وقد عارض النظر بن شميل[75] (المتوفى حوالي 203 هـ) الرأي القائل بأن السين تقع أحيانا موقع الصاد على حين روى عن الزّجاج النحوي (المتوفى 321 هـ) أنه كان يرى جواز إبدال كل من الحرفين بالآخر[76].

وقد سجل الجاحظ (المتوفى سنة255 هـ) بعض العبارات من لغة الحديث اليومي والتي توضح بعض الظواهر الصوتية السائدة آنذاك ويظهر أثر الأصوات الأجنبية في نطق بعض المتكلمين باللغة العربية فيقول : «ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً، ولو أقام في عليا تميم، وسفلى قيس، وبين عجز هوازن خمسين عاما. وكذلك النّبطي القح... لأن النبطي القح يجعل الزاي سينا، فإذا أراد أن يقول زورق قال سورق ويجعل العين همزة»[77] كما ذكر الجاحظ في موضع آخر أن زياداً الأعجم كان يجعل السين شيناً[77]. وذكر كذلك أن بعض مواطن الدولة الاسلامية من غير العرب لم يكونوا يميزون تمييزاً واضحاً بين الذال والذال.

وأطلق الجاحظ على ظاهرة عدم قدرة المستعربين على النطق بالأصوات العربية اسم : اللُكنة بضم اللام فقال : «ويقال في لسانه لُكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول»[78].

2 — في البنية الصرفية :

أخذت اللغة المولدة طابعاً جديداً يتمثل بإدخال بعض الوحدات الصرفية على ما تمنع الفصحى دخوله عليه كإدخال أداة التعريف (ال) على ألفاظ (كل، بعض، غير) كقولهم : «الحيوانات الغير ناطقة»، وفي التراكيب العددية مثل : «ما فَعَلَتْ

الثلاثة الأثواب»[79] فيعرفون الاسمين ويضيفون الأول منهما إلى الثاني، والصواب أن يعرف الأخير من كلّ عدد مضاف فيقال : «ما فَعَلَتْ ثلاثة الأثواب ؟».

وقامت اللغة المولدة بإثبات نون التثنية والجمع التي تحذفها العربية الفصيحة لدلالة نحوية معينة عند الاضافة مثلاً.

3 ــ في التركيب النحوي :

إنّ ترك الاعراب في أواخر الكلم يجعل من المُتَعَذّر تمييز الفاعل (إلا إذا كان في صورة ضمير يتميّز بصيغته) في آخر الجملة أو بعد المفعول كما يصعُب معرفة وظيفة الكلمة في الجملة لذلك استعاضت عنه اللغة المولّدة بترتيب الكلمات ترتيباً آخر : فلتمييز الفاعل من المفعول قامت بتقديم الفاعل على الفعل الذي يأتي بعده المفعول مباشرة وذلك حينما يكون الفعل متعدّياً.

أما إذا كان الفعل لازماً فهو مخيّر بين تقديم الفعل على الفاعل أو تأخيره عنه وبذلك نرى أنّ اللغة الدارجة تخلّت عن الاعراب الذي يَفْصُحُ عن الوظيفة النحوية للكلمة وقد صارت الوظيفة النحوية في الاحساس اللّغوي الحي موقوفة على علاقات مواضع الكلمات لا على إعرابها.

كما أنّ الخلط بين علامات الاعراب كان يعدّ طابعاً مميزاً لطريقة التعبير الشعبي وهذا ما يوضحه الجاحظ[80] في الأمثلة التي أوردها نماذجا للكلام الملحون مثل :

ذهبت إلى أبو زيد (بدل : ذهبت إلى أبي زيد)

ورأيت أبو عمرو (بدل : رأيت أبا عمرو)

كما ورد في الأمثلة :

«مكره أخاك لابطل» بدلاً من (مكره أخوك لابطل)

«وإذا عزّ أخاك فهن» بدلاً من (وإذا عزّ أخوك فَهُن)

وكذلك ظهر اختلاط علامات الاعراب في النصوص النصرانية العربية للقرن الثالث الهجري مثل : «لا يستطيع أحداً» أو «لايستطيعْ أحدْ من الناس أمرْ مثل هذا»

ومثل «يَدَيك خلقتاني»[81] بدلاً من «خلقتني يداك».

كما نرى بعض التراكيب الأعجمية في اللغة العربية قد انتشرت في أسلوب كتبة أهل العصر العباسي الأول وذلك يتضح فيما ينقلونه من الأفكار الأعجمية.

ويعتقد أن أسلوبهم قد دخله شيء من الضعف والركاكة ومثال ذلك :

إدخال الألف والنون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات كقولهم روحاني ونفساني ونحو ذلك مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا يستحسن في اللسان العربي[82].

ومن التعبيرات التي اقتبست من اللغة اليونانية[82] :

ا ــ تركيب الألفاظ مع (لا) النافية وإدخال (ال) التعريف عليها كقولهم (اللانهاية) و(اللاضرورة).

ب ــ صوغ الاسم من الحروف أو الضمير مثل قولهم : الكيفية والكمية، والماهية.

ج ــ نقل الألفاظ الوصفية إلى الاسمية كقولهم : المائية ومن ذلك أيضاً اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل قولهم (صاحب الشرطة) و(صاحب الستار) وهو تعبير فارسي[82].

4 — في دلالة الألفاظ :

وتتضح هذه الظاهرة اللغوية من خلال ما استعمله مترجم الانجيل للألفاظ اللغوية ودلالتها على المعاني المستعملة في العصر العباسي الأول، حيث استعملت في غير موضعها الصحيح ومن تلك الأمثلة[81] :

استعمال (من حيث) بمعنى (في حالة)

وكثر استعمال (فيما) بمعنى (بينما)

واستعمل (من حين) بمعنى (منذ)

واستعمل أيضاً (إلى حين) بدلاً من (حتى)

كما أن اسم الموصول : (الذي) تحوّل أخيراً إلى الصيغة الجامدة في جميع الأحوال وهي (اللّي)، ومثل هذا الاستعمال لاسم الموصول (اللّي) مازال مستعملاً في جميع اللهجات العربية الحديثة[83].

وهذا الاستعمال الواسع لهذه اللفظة في جميع البلدان العربية في الوقت الحاضر قد فسره بعض الباحثين[84] بأنه قد تكون له جذور في لهجة عربية قديمة لم ترو لنا في المعاجم العربية. كما أنّ بعضهم[85] يرجح أن يكون أصلها (ال) ثم حرفت، ونحاة العرب[86] لا يختلفون في اعتبار (ال) موصولة بمعنى (الذي). وبعضهم يرى أن بعض القراء قد قرأ بتخفيف الهمزة من اللاء وقياسها أن تجعل بين بين وفي هذا قال الكميت :

وكانت من اللاّ لا يعيرُها ابنُها
إذا ما الغلام الأحمق الأمّ عيّرا

وإنّ تخفيف الهمزة من (اللا) أخف على اللسان من نطقها مهموزة (اللاء).

ومثل هذه القراءة انساقت إليها الدارجة بعد إمالتها فأصبحت (اللي) بدلاً من (اللا) وصارت اسماً موصولاً يدل على المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث على السواء[87].

وإني أرى أنّ اسم الموصول (اللّي) هو تطور لاسم الموصول (الذي) حيث إنّ اللهجات المولّدة قد مالت إلى التيسير، وإنّ الانسان يميل بطبعه إلى الاقتصاد في المجهود العضلي ولأجل أن يرتفع اللسان ارتفاعاً واحداً بدلاً من ارتفاعين، قطعت الذال لأنّ نطقها يحتاج إلى ارتفاع اللسان مرة أخرى بعد أن ارتفع في المرة الأولى مع اللام وحيث إن اللام صوت لثوي، أي ينطق بأن يتصل طرف اللسان باللثة ويرتفع الطبق فيسُدّ المجرى الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق.

وإنّ الذال صوت أسناني أي يُنطق بأن يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا ويرتفع الطبق ليسُدّ المجرى الأنفي بأن يلتصق بالحائط الخلفي للحلق.

لذا قطعت الذال اختصارا للمجهود العضلي كما أن نظرية السهولة تميل إلى الابتعاد عن المخارج المتقاربة، قال ابن دريد[88] «إن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت».

وإن نظرية السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي من النظريات التي اعترف بها المحدثون[89] في التطور الصوتي .

يضاف إلى ذلك أن كثرة استعمال اسم الموصول أدى إلى تخفيفه وتسهيله في النطق وأن حرف الذال من الحروف الثقيلة على ألسنة العرب، فقد قال ابن دريد عن استعمال العرب للحروف : إن «أقلّ ما يستعملون على ألسنتهم لثقلها الظاء ثم الذال ثم الثاء[90]...» الخ. لهذه الأسباب نرى أن اسم الموصول (الذي) قد شاع في أغلب اللهجات الحديثة بصورته الحالية (اللي).

اللهجات المعاصرة :

ومن المعروف أن اللغة عندما تنتشر في مناطق واسعة من الأرض تحت تأثير عامل أو أكثر من العوامل التي تؤدي لانتشار اللغة[91] وتكلمت بها

طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى فترة طويلة فلا تلبث أن تنشعب إلى لهجات وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها.

وهكذا كان لابد أن ينطبق هذا المبدأ على اللغة العربية عند انتشارها بعد الفتوحات الاسلامية الواسعة وكما يقول أحد الباحثين[92] : فإن اللغة «فرضت نفسها لسانا للمتكلمين في البلاد التي أظلتها راية الفتح وكادت أن تمحو لغة الأوطان محوا، ولكنها مع ما أعطت أخذت من كل وطن بجديد، ودس فيها ما لم يكن منها وتأثرت اللهجات العربية الشائعة على ألسنة العامة هنا وهناك».

ولم تستطع العربية الفصحى أن توقف هذا التيار الجارف ــ تيار العامية ــ كما لم تستطع قواعدها أن تسيطر على ألسنة الناس فاستمر التحرر من قواعد الاعراب، واستمر توليد الألفاظ فتكونت بسبب ذلك لهجات عربية حديثة في كل إقليم عربي.

فكل لهجة اتخذت أسلوبا يختلف عن غيره من أساليب اللهجات الأخرى في النطق، على أن هناك شيئا واحدا وصلت إليه هذه اللهجات المنشقة عن الفصحى، وهو سقوط الاعراب من أواخر الكلم.

والانحراف عن الفصحى التي اتصفت به اللهجات العامية يحدث في أغلب الأحيان لأجل التخفيف في النطق ويتحقق هذا بعدة طرق يمكن أن أوجزها فيما يأتي : [93].

1 ــ بزيادة حرف ــ وغالبا ما يكون حرف لين ــ نحو قولهم : «راجل» بدلا من «رجل» و(دواية)بدلا من (دواة) في اللهجة المصرية[94] وقولهم : «رجّال» بدلا من (رجل)في اللهجة العراقية[95] وقولهم : «الحاسي» بدلا من (الحسْي) وهو للبئر[96] في اللهجة الجزائرية[97]. والحرف الزائد الذي تولد في (راجل) و(الحاسي) هو نتيجة اشباع صوت الفتحة كما يبدو.

2 ــ بتخفيف الهمزة كقولهم «بير» بدلا من (بئر) في اللهجةالعراقية[98] والمصرية[99] وقولهم «رايح» بدلا من (رائح) في اللهجة العراقية[100] والجزائرية[101] ويقولون «أوميت» في (أومَأت) في اللهجة العراقية وينطقونها بضمة فوق الهمزة ممالة نحو الفتحة.

ومثل هذه اللهجة قد نهى عنها الجوهري في الصحاح[102] وقال : «ولا تقل أَوْمَيْت».

وردّه الشهاب الخفاجي بقوله «الصحيح أنه لغة مسموعة» قال :

أومى إلى الكوماء هذا طارق
نحرتني الأعداء إنْ لم تنحري

وقال اللبلي في شرح الفصيح (أومأت إليه) أشرت بيد أو حاجب، مهموز.

قال ابن درستويه والعامة تقول أوميت.

وحكى ابن قتيبة في أدب الكاتب (أوميت) وعن ابن خالويه (وميت) وحكاه يونس في نوادره[103].

وتسهيل الهمزة وتخفيفها معروف منذ القدم فقد مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق[104]. كما عرف عن الحجازيين تسهيل الهمزة فلا ينبرونها إلا إذا أرادوا محاكاة التميميين في تحقيقها استلطافا لهذه الصفة الحلوة من صفات لهجتهم[105] لهذا فلا عجب إن تخلصت معظم اللهجات الحديثة من تحقيق الهمزة لما يحتاجه تحقيقها من جهد عضلي.

3 ــ وقد يكون باتباع حركة أول الكلمة للحرف الليّن الذي في وسطها فتحدث الامالة كإمالة الفتحة نحو الكسرة كقولهم :

«زيتْ»(*) بدلا من «زَيْت»

«ڤين» بدلا من «دَيْن»

«سيف» بدلا من «سَيْف»

في اللهجة العراقية(106) وقولهم :

«بيت» بدلا من «بَيْت»

في اللهجة العراقية(106) والمصرية(107)

والامالة هي ضرب من الانسجام والتقريب والهدف منها كما يقول ابن يعيش (108) : «تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل» فسبب الامالة هنا هو لتناسب الأصوات وتقاربهما وذلك لأن النطق بالياء والكسرة مستفل منحدر، والنطق بالفتحة والألف مستعل متصعد ، ففي الامالة صارت الالف من نمط الياء في الانحدار والتسفل.

4 ــ إبدال بعض الحروف بأخرى أسهل في النطق كقولهم :

«بحتر» بدلا من «بعثر»

في اللهجة المصرية(109) فأبدلت العين حاء.

والعين هو «صوت مجهور مخرجه وسط الحلق. فعند النطق به يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق المجرى»(110) والحاء هو الصوت المهموس الذي يناظر العين، ومخرجها واحد، ولا فرق بينهما إلا في أن الحاء صوت مهموس نظيره المجهور هو العين.

وقد نبه الخليل بن أحمد(111) إلى هذا الفرق بينهما فقال : «ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها» وذكر مثل هذا ابن جني(112) وأضاف قائلا : إن الحاء فيها بحة يجري معها النفس، وليست كالعين التي تحصر النفس(112).

وكلام ابن جني هذا يرشدنا إلى السبب في إبدال العين حاء وذلك لأجل التخفيف وسهولة النطق لأن الحاء يجري معها النفس ولا ينحبس كما في العين.

وأبدلت الغين خاء في بعض اللهجات العراقية(113) كقولهم :

«خَسَل» بدلا من «غسل»

«خَصَبَه، خَصْباً» بدلا من «غصبه، غصبا»

و«اخْتَال» بدلا من «اغتال»

والخاء والغين صوتان حلقيان مخرجهما واحد، وكل منهما صوت رخو مرقق إلا أن الفرق بينهما هو أن الخاء النظير المهموس للغين، أي أن الأوتار الصوتية تهتز مع الغين ولا تهتز مع الخاء.«فعند النطق بالخاء يندفع الهواء مارا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه إلى الفم»(114).

لهذا أبدلت الغين خاء لأجل التيسير وللسهولة في النطق.

5 ــ تخفيف النطق بإبدال الحرف المضعف ياء كقولهم :

«مِدّيت» بدلا من (مددت)، و«فُكّيت» بدلا من (فكَكْتُ) في اللهجتين العراقية(115) والمصرية(116).

وقولهم : «حِسّيت» بدلا من «حَسِسْت» في اللهجتين العراقية والجزائرية(117).

ويعرف مثل هذا الابدال عند علماء الأصوات(118) ب (قانون المخالفة)، وهو القانون الذي يعمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات، فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة أو من الأصوات

(*) هذه العلامة (ه) ترمز لحركة الامالة أي : إمالة الفتحة نحو الكسرة أو إمالة الألف نحو الياء.

المتوسطة أو المائعة المعروفة وهي اللام والميم والنون والراء.

وورد في العربية القديمة إبدال الياء من الراء في (تسرّيت)[119] وأصله (تسررت) وأبدلت الياء من النون في (دينار)[120] وأصله (دِنّار) كما ورد (تظنّيت)[121] في (تظننت).

وقد نبّه اللغويون العرب على مثل هذه الظاهرة، فعقد سيبويه لها بابا سماه (باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف، وليس بمطرد)[122]. كما علل اللغويون سبب ذلك الابدال بقولهم : «هروبا من اجتماع الأمثال»[123] أو «هروبا من ثقل التضعيف»[124] أو «كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد»[125].

6 ــ يكون التخفيف ــ أحياناً ــ ناشئا من القلب المكاني كقولهم :

«المعلقة» للملعقة في اللهجة المصرية [126].

وقولهم :«زميج» بدلا من (مزيج) في لهجة أرياف المنطقة الوسطى من العراق وحصل قلب مكاني للضمير (أنا) وأصبح (آنَ) في كثير من اللهجات العربية الحديثة كاللهجة العراقية [127] والتونسية وبعض القرى المصرية[128] والتلمسانية.

فتقدمت اللام التي هي (الالف في «أنا») على النون التي هي (النون) فاجتمعت الهمزة مع الألف الساكنة فتحولت إلى (مدة) : (آ) ومثل هذا الاستعمال للضمير (أنا) ليس غريبا عن اللهجات القديمة.

فقد حكى الفراء[129] (آنَ فعلتُ) كما نسب هذه اللهجة صاحب التهذيب إلى قضاعة[130] واستشهد لها بقول عدّي[131] :

ياليت شِعري آن ذو عَجَّة
متى أرى شَرْباً حَوَالي أصيصْ ؟[132]

7 ــ وقد يكون التخفيف ناشئا عن النحت، وهو تكوين كلمة أو قطعها من أحرف كلمتين فأكثر لتدل على معنى ما، وغرضه الاختزال والاختصار.

فقالوا : «ايش بدك ؟ » [133] والاصل : «أي شيء بودّك ؟» في اللهجة السورية.

وقالوا : «منين ؟» في (من أين ؟) في اللهجة المصرية والعراقية[134].

وقالوا : «ليش ؟ » في (لأي شيء ؟) في اللهجة العراقية[135].

وقالوا : «ماعنديش» في (ما عندي شيء) في اللهجة الجزائرية[136] والمصرية.

وهكذا تطورت اللهجات المحلية في مختلف المناطق العربية عبر العصور المختلفة وسادت في ركب التطور نحو التيسير والتسهيل والسير من الصعب إلى السهل طلبا للاختصار والاقتصاد بالمجهود العضلي، وسرعة الأداء لمواكبة عصر السرعة.

ومن هذا العرض الذي أوضحت فيه ما آلت إليه اللهجات المحلية يمكن استخلاص النقاط التالية :

أولاً ــ مرّت اللغة العربية الفصيحة بأدوار كثيرة وظروف متنوعة تغيرت أصواتها ومفرداتها عبر العصور المتعاقبة حتى تحولت إلى لهجات مختلفة كل لهجة تتصف بصفات ومميزات معينة ولها جذور وظواهر خاصة تشترك أحياناً مع الظواهر التي تتميز بها لهجة القبائل التي انحدر منها أصحاب اللهجة الحديثة، كظاهرة الكشكشة والشنشنة والعجرفيّة وغيرها[137].

ثانياً ــ استعمل في اللهجة الحديثة أصوات إضافية استعيرت من اللغات الأخرى كاللغة الفارسية والتركية والانجليزية والفرنسيّة وغيرها. ومن تلك الأصوات صوت الباء المهموسة والكاف الفارسية

(گ) أو كما يطلق عليها الجيم القاهرية أو الكاف التميميّة وهو صوت سامي موجود في بعض اللغات الساميّة كالعبريّة والسريانيّة والحبشية(138) واستعملت أصوات أخرى مستقبحة (كما سمّاها سيبويه)(139) أو كما قال ابن دريد(140) : «الحروف التي لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة».

ثالثاً ــ تشترك معظم اللهجات العربية الحديثة بسقوط الاعراب من أواخر الكلم.

رابعاً ــ فقدت كثير من الأصوات العربية الفصحى من بعض اللهجات الحديثة كفقدان صوت القاف في لهجة أهل القاهرة والشام إلا في بعض الألفاظ التي احتفظ بالقاف كقولهم : (القاهرة)، والقاهر ويبدو أنه لم يبدل هذا الصوت خوفاً من الالتباس بلفظ آخر.

وكذلك استبدل صوت الثاء في لهجة أهل القاهرة بصوت التاء أو السين فقالوا : (تلات وتلاتين) في (ثلاث وثلاثين) وقالوا (سابت) بدلا من (ثابت).

خامساً ــ مالت معظم اللهجات الحديثة إلى التخفيف والتسهيل في النطق كتسهيل الهمزة. وهذه الخصيصة موجودة في العصر الاسلامي وقبله كذلك فقد مالت كثير من اللهجات العربية القديمة إلى تخفيف الهمزة والتخلص من تحقيقها لما يحتاجه تحقيقها من جهد عضلي وقد مالت كلّ اللهجات الساميّة إلى التخلص منها في النطق(141) كما عرف عن الحجازيين تسهيل الهمزة فلا ينبرونها إلا إذا أرادوا محاكاة التميميين في تحقيقها استلطافاً لهذه الصفة من صفات لهجتهم.

وبعد هذه الخلاصة لما توصل إليه البحث من نتائج يمكن وضع الاقتراحات التالية :

1 ــ بالامكان نشر الفصحى بتعميم التكلم بها في المدارس، وإجبارالأسر التعليمية على إلقاء الدروس باللغة العربية، وتحريم العامية المبتذلة عند إلقاء المحاضرات، لكي ينشئوا جيلاً يستخدم الألفاظ العربية الفصيحة. ومطّلعاً عليها منذ نشأته التعليمية الأولى، لأن اللغة العربية كغيرها من اللغات تعتمد على السماع والتلقين في تعليمها بالدرجة الأولى، وكذلك تهيئة معلمين سليمي اللغة بتكثيف الدورات التعليمية لهم.

2 ــ تخصيص لجنة في كلّ مجمع لغوي تكون متخصصة بالشعر العامي أو كما هو معروف «بالشعر الشعبي» ويكون ضمن اختصاصاتها فحص النصوص الشعرية العامية وخاصة الغنائية منها قبل قراءتها وتلحينها، لتهذيبها، وحذف الكلمات المنحرفة عن الفصحى ــ قدر الامكان ــ لئلا تشيع مثل هذه الكلمات بين الناس فتتوارث في الأجيال القادمة.

3 ــ تشجيع البحوث الأكاديمية لدراسة اللهجات الحديثة، لاظهار ما وصلت إليه في مراحل تطورها وتوضيح صلتها باللغة الأم (اللغة العربية الفصيحة) لتضييق هوة الاختلاف بين اللهجات العربية، لكي تنسجم جميعا وتقبع في أحضان اللغة العربية الفصيحة.

4 ــ ضرورة منع استعمال الكلمات الأجنبية في عناوين المحلات والمرافق العامة في كافة أنحاء الوطن العربي، وإبدالها كلمات عربية فصيحة. وإذا لم نجد ما يسد حاجتنا منها، فيمكن الرجوع إلى الألفاظ التي أقرها المجمع اللغوي، وعرّبها من المصطلحات الصناعية والطبية. ونترك الكلمات الدخيلة أمثال : (المسافر خانة) و(البانزين خانة) في اللهجة العراقية، والاكزخانة، واللوكنده في اللهجة المصرية وغير ذلك من الألفاظ الدخيلة.

هوامش البحث ومصادره

(1) ألف كثير من الكتب والبحوث العلمية التي تبين أثر اللغة العربية في اللغات الأخرى وتبرز الكلمات التي دخلت تلك اللغات، منها :

- (كتاب) مفردات إسبانية عربية الأصل، لبتول العلاف، طبع ببغداد سنة 1962 م.
- (كتاب) أثر اللغة العربية في اللغة التاجكية، د.حسين علي محفوظ، طبع ببغداد سنة1965.
- (بحث) تأثير اللغة العربية في إفريقيا / محمد مختار سيسي، مجلة اللسان العربي ــ الرباط عدد 13، سنة 1976 ص 72 ــ 77.
- ألفاظ عربية في اللغة الأرمنية / أ. ابيان، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، عدد 12، سنة 1932، ص 439 ــ 441.
- الكلمات العربية في اللغة الأردية / مبارك الباكستاني، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، عدد 29، سنة 1954، ص 253 ــ 260.
- الألفاظ ذات الأصل العربي الدخيلة في اللغة الرومانية بوساطة اللغة التركية / نيقولا دوبريشان، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عدد 9، سنة 1972، ص 147 ــ 174.
- أثر العربية في اللغة البرتغالية / الأب ن. دي سا، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عدد 18، سنة 1965، ص 65 ــ 70.
- الألفاظ العربية المستعارة في لغة الهوسا / داود سلوم، مجلة كلية الآداب ــ جامعة بغداد، العدد 21، سنة 1977، ص 57 ــ 104.
- الألفاظ المستعارة من العربية في لغة اليوربا / داود سلوم، مجلة كلية الآداب ــ جامعة بغداد، العدد 20، سنة 1976، ص 7 ــ 26.
- الألفاظ المستعارة من العربية في اللغة السواحلية / داود سلوم، مجلة كلية الآداب ــ جامعة بغداد، عدد 19، سنة 1975، ص 219 ــ 299.
- (بحث) العربية في الكتب العبرية / عبد العزيز بنعبد الله، مجلة اللسان العربي، الرباط عدد 11، ج 1، سنة 1974 ، ص 159 ــ 160.
- (بحث) الألفاظ العربية في اللغات الاسلامية غير العربية / عبد الوهاب عزام، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عدد 9، سنة 1957، ص 85 ــ 86.
- (بحث) تأثير علوم اللغة العربية في البلاد غير العربية / عبد الوهاب عزام، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عدد 13، سنة 1961، ص 35 ــ 42.
- (بحث) مصطلحات أجنبية أصلها عربي / أبو فارس، مجلة اللسان العربي، الرباط، عدد 9، ج 1، سنة 1972، ص 430 ــ 431.
- (بحث) كلمات عربية في اللسان الاسباني / إلياس قنصل، مجلة اللسان العربي ــ الرباط، عدد 11، ج 1 سنة 1974، ص 182 ــ 202.
- (بحث) أثر اللسان العربي في اللغة الاسبانية / سامي الخفار الكزبري، مجلة اللسان العربي ــ عدد 7، ج 1، سنة 1970، ص 155 ــ 157.
- (بحث) تأثير اللغة العربية على البولونية / جرزي كوتكوفسكي / مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، عدد 25، سنة 1950، ص 147 ــ 150.
- (بحث) أثر اللغة العربية في اللغة الفارسية / حسين علي محفوظ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 40، سنة 1977 ، ص 301 ــ 330.
- (بحث) الوجود العربي في اللغة التركية / أحمد توفيق المدني، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 36، سنة 1975، ص 127 ــ 170.
- (بحث) تأثير اللغة العربية في اللغة الألبانية / محمد موفاكي، مجلة المعرفة ــ دمشق، عدد 178، سنة 1976، ص 173 ــ 183.

(2). دخل كثير من الكلمات العربية إلى اللغات الأوروبية المختلفة. فقد دخل بعض هذه الكلمات مباشرة من العربية ودخل بعضها عن طريق اللغة الاسبانية أو اللاتينية، ومثال ذلك ما ورد في كتاب حضارة الاسلام وأثرها في الترقي العالمي للأستاذ جلال مظهر (طبع دار مصر للطباعة سنة 1974) ص 469 ــ 485 فقد ورد فصل خاص للكلمات العربية في اللغة الانجليزية. واعتمد فيه المؤلف على بحث الأستاذ والت تايلور (W. Taylor) في كتابه : Arabic words in English s. p. E. Tract No xxxVIII وكذلك اعتمد على معجم أكسفورد اللغوي التاريخي. ومما ورد في كتاب حضارة الاسلام ص 470 «يوجد في اللغة الانجليزية حوالي ألف كلمة من أصل عربي، وعدة آلاف من مشتقاتها... منها كلمات أصبحت تدل على معان عامة في العلم مثل كلمة (Algebra) جبر أو (Chemistry) كيمياء أو في الفن مثل (Guitar) قيثارة أو في مختلف شئون الحياة اليومية مثل (Coton) قطن، أو (Syrup) شراب، أو (Coffee) قهوة وغير ذلك من الألفاظ الأخرى ثم ختم بحثه بقائمة للكلمات الانجليزية وما يقابلها في اللغة العربية وقد رتبها حسب الموضوعات مثل (الفلك والتنجيم، النبات، الكيمياء، والملابس، المشروبات والأغذية

والأوعية، والرياضيات، والطب والجراحة، الدين والموسيقي...) الخ.

(3). دراسات في فقه اللغة / الدكتور صبحي الصالح : 348 (ط 6 دار العلم للملايين ـــ بيروت 1976 م).

(4). نفسه : 115.

(5). تاريخ العرب / للدكتور فيليب حتي والدكتور أورد جرجي، والدكتور جبرائيل جبور ـــ الطبعة الثالثة، دار الكشاف، 1961 م.

(6). فقد سار التيار المعادي للغة العربية ـــ وهو محاولة للنيل من لغة القرآن ـــ في اتجاهات ثلاثة :

الأول : الدعوة إلى العامية.

الثاني : الدعوة إلى اتخاذ الحروف اللاتينية للكتابة العربية.

الثالث : يهدف إلى اتخاذ لسان أوربي بدلاً من اللسان العربي.

وأول من تبنى الدعوة إلى العامية في مصر المستشرق الألماني الدكتور (وهلم سبيتا) مدير دار الكتب المصرية عام 1882 م، وزعم بدعوته أنه بذلك يحارب الأمية والفقر الثقافي وما ينشأ عنهما من انحطاط سياسي وتخلف اجتماعي. (ينظر لغتنا والحياة / د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ص 80 طبع دار المعارف بالقاهرة ـــ 1971 م)

ومثل الحملة الانجليزية الاستعمارية على العربية الفصحى (ويلكوكس) مهندس الري الانجليزي. والمسؤول عن الري المصري 1893 م.

وقد حمل آراء (وليم ويلكوكس) وأخذ يدافع عنها أحد أبناء اللغة العربية العاقين لها وهو سلامة موسى، وأخذ يعلل لحملته على العربية صعوبة تعلمها وعجزها ن تأدية أغراضنا الأدبية والعلمية، لذلك دعا إلى إلغاء الاعراب وتبسيط التعبير باصطناع العاميّة كي تعبر الهوّة التي تفصل بين الأدب والشعب على أن تكتب هذه العامية بالخط اللاتيني. (ينظر البلاغة العصرية واللغة العربية / سلامة موسى ـــ المطبعة العصرية ـــ القاهرة ـــ الطبعة الثانية ص 55).

ودعا إلى العامية في لبنان الخوري مارون غصن، بحجة أن الفصحى قد ضعفت وهرمت ومآلها إلى الموت والفناء بخلاف العاميّة التي تكتسب الحيوية من قدرتها على اقتباس الكلمات أيّاً كان مصدرها. وقد عارض الأب لويس شيخو اليسوعي هذه الدعوة. (ينظر كتاب اللغة العربية في مواجهة الحياة / د. عيد محمد الطيب : ص 100 ـــ مطبعة الأمانة بالقاهرة سنة 1402 هـ ـــ 1981 م).

وقام بالدعوة إلى استخدام الحروف اللاتينية وبلمور قاضي الاستعمار الانجليزي بمحكمة الاستئناف المختلطة في مصر سنة 1901 م.

وفي باريس أخذ ماسينيون المستشرق الفرنسي يدعو لذلك في محاضرته سنة 1925 م، مع اعترافه بتفوق العربية على كثير من اللغات الأوربية في أداء الوظيفة اللغوية وهي وصولها إلى الغرض المقصود رأساً وبأقل ما يمكن من الألفاظ، ويرى أنّها مع ذلك توشك أن تشرف على الخطر إذا لم يسعفها المصلحون بما يقوّم ضعفها، والعلة في نظره هي الحروف العربية وما يدخل عليها من تغيير في الرسم وتغيير في الحركات، لذلك يقترح أن ترسم اللغة العربية بالحروف اللاتينية فلا تبقى حاجة إلى شكل الحرف. (ينظر اللغة العربية بين حماتها وخصومها / أنور الجندي : ص 115. مطبعة الرسالة بالقاهرة).

كما قام بعض الأدباء بالدعوة إلى استخدام اللغة الأجنبية في الكتابة العلمية والأدبية. ومن هؤلاء أمين شُميل، فقد دعا إلى نبذ العربية تماماً فصحاها وعاميتها واتخاذ أية لغة أجنبية بدلاً منها كما اقترح أن يقرأ هذا التراث العربي في لغة أجنبية، وحجته أنه قد نقل إلى لغات الأمم الناهضة التي تقتنه وأضافت إليه فصار حيّاً في لغاتهم ميتاً عندنا لما فيه من أغلاط بسبب سوء النسخ.

كما قام المستشرق كولان بتقديم النصح للمغرب العربي باتخاذ اللسان الفرنسي أداة للكتابة في شتى المجالات بدعوى أن الفصحى لغة الكتابة فقط ولا يلّم بها إلا المتعلمون في حين أن الناس جميعاً يتعاملون بالدارجة. (ينظر اللغة العربية بين حماتها وخصومها : ص 118، واللغة العربية في مواجهة الحياة : ص 117).

ويظهر سوء النية واضحاً في هذه المحاولات البشعة للنيل من لغة القرآن وتراثها الخالد، لذلك تصدى لهذه الدعوات الضالة كثير من المنصفين منهم الدكتور زكي مبارك، فتصدى للرد على كالون.

كما عارض هذه الدعاوي بعض المستشرقين الذين لم يسعهم إنكار الحقيقة أو إخفاؤها لوضوحها مثل المستشرق الايطالي كارلو نلينو، فهو يرى أن الحروف اللاتينية لا تصلح لكتابة اللغة العربية فضلاً عن أنها ليست في حاجة إلى ذلك فإنها تحفظ بحروفها الآن كنوز العلوم والأدب، ووحدة اللغة على الرغم من اختلاف اللهجات، وقد وضع الخط العربي موافقاً لطبيعتها، وإذا أردنا كتابتها بالحروف اللاتينية استلزم ذلك إيجاد رموز خاصة زيادة على الموجود في الحروف اللاتينية. كما رفض كتابة العربية بالحروف اللاتينية إدوارد دنيسون روس المستشرق الانجليزي مدير مدرسة اللغات الشرقية، وحذّر العرب من الاستماع إلى هذه الدعوة وقال : «إياكم وهذا الأمر، إنّ الحروف العربية هي حروف لغة القرآن، وإذا مسستم الحروف العربية مسستم القرآن بل هدمتم صرح وحدة الاسلام.

قد يمكن أن نطبق الحروف اللاتينية على اللغة العامية لأنها لا ضابط لها، تُكتب كما تسمع أما العربية فيجب ألا تمس مطلقا لأنّ الاسلام أساسه اللغة فإذا ضاعت ضاع الاسلام » (ينظر اللغة العربية بين حماتها وخصومها / أنور الجندي : ص 123).

(7). العربية / يوهانفك، ترجمة د. رمضان عبد التواب : ص 242.

(8). ينظر للفائدة : من أسرار اللغة / د. إبراهيم أنيس، فقه اللغة / د. علي عبد الواحد وافي، ومثله للدكتور عبد الله العزازي، وإبراهيم نجا، ودراسات في فقه اللغة / د. صبحي الصالح، وعوامل تنمية اللغة / د. توفيق محمد شاهين.

(9). فقه اللغة / د. علي عبد الواحد وافي : ص 108 (ط 7 دار نهضة مصر).

(10). ينظر المزهر للسيوطي : 1 / 369 (مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة).

(11). المصدر نفسه : 1 / 387.

(12) نفسه : 1 / 402.

(13). نفسه : 1 / 476.

(14). ينظر تفصيل ذلك في فقه اللغة / د. وافي : ص109، واللغة العربية بين القومية والعالمية / د. أنيس : (دار المعارف بمصر1970 م).

(15). المزهر : 1 / 221.

(16). المزهر : 1 / 211 (مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة)، ومثل هذه الرواية قالها ابن فارس في الصاحبي : ص 23 والاقتراح للسيوطي، ص 24 الطبعة الأولى حيدر آباد الدكن.

(17). ينظر التطور اللغوي / د. إبراهيم السامرائي : ص 27 (ط 2 دار الأندلسي بيروت 1401 هـ ــ 1981 م) وفقه اللغة المقارن / د. إبراهيم السامرائي : ص 169 (ط 2 دار العلم للملايين ــ بيروت 1978 م).

(18). ديوان امرىء القيس : ص 77 (مطبعة الشركة الوطنية ــ الجزائر 1394 هـ / 1974 م)، مستشزرات مفتولات إلى فوق، والشزر من الفتل : ما أدبرت به عن صدرك.

(19). المزهر : 1 / 185، المهمخع كقُنْفُذ : شجرة يتداوى بأوراقها وذكر الخليل أنّه سمعها تنطق (المُهمخ) فأنكر هذه وقال : إنها شنعاء ولاتجوز في التأليف الرباعي وذكر أن إعرابياً قال : إنما هو الخُمْخُع فقال الخليل : وهذا موافق لقياس العربية (العين) 2 / 274 تحقيق : (مهدي المخزومي ود. السامرائي نشر دار الرشيد بغداد).

(20). اللغة العربية مكانتها القومية والعالمية في القديم والحديث / مقال محمد شوقي أمين، مجلة مجمع اللغة العربية ج 34 ص 59، شوال 1394 هـ نوفمبر 1974م.

(21). الصاحبي : ص86 (مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة).

(22). المصدر نفسه : ص 78.

(23). سورة المائدة، آية : 2.

(24). ينظر في هذا لغتنا والحياة / د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ص 44 (مطبعة دار المعارف بمصر).

(25). معجم مقاييس اللغة : 5 / 239 (تحقيق عبد السلام هارون ــ ط 1 سنة 1366 هـ).

(26). طبقات النحويين واللغويين : 11 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار المعارف بالقاهرة 1393 هـ ــ 1973 م).

(27). مراتب النحويين : ص 23 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة نهضة مصر بالقاهرة 1394 هـ ــ 1974 م).

(28). ينظر الخصائص / لابن جني : 2 / 8 (تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب بالقاهرة 1371 هـ ــ 1952 م، وكنز العمال في الأقوال والأفعال / علاء الدين الهندي (حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف 1313هـ ــ 1895 م).

(29). الاصابة : 2 / 195 ط القاهرة1358 هـ مطبعة مصطفى محمد.

(30). البيان والتبيين للجاحظ : 1 / 72 (تحقيق عبد السلام هارون ط 2) والحائن : الهالك، ينظر اللسان (حين).

(31). ينظر العربية ليوهانفك : ص23 (تحقيق د. رمضان عبد التواب) والبيان والتبيين : 1 / 32.

(32). الصحاح : (عرب)1 / 179.

(33). ينظر المزهر : 1 / 283 ــ 284 وفيه ألفاظ أخرى.

(34). حكى الثعالبي في فقه اللغة : ص 245، وأبو حاتم الرازي في كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية : 1 / 131 والجواليقي في المعرب : ص 5 أن الابريق فارسي معرب وقال الأب رفائيل اليسوعي في غرائب اللغة العربية ط 2 ص 216 في الفارسية (آبريز).

(35). ينظر القاموس : (أمر) 1 / 379، واستشهد الجوهري في الصحاح : (تمر) 2 / 601 بقول الأعشى :

فـــــإذا لها ثامُـــــورَة مرفوعة لشرابها

وقد وضعه صاحب القاموس في مادة (أمر) وعابه الجوهري لأنه وضعها في مادة (تمر).

(36). ورد في القاموس : (هان) 4 / 280 الهاوَن، والهاوُن والهاوون وقال الجوهري : الهاوُن : الذي يُدَق فيه، مُعرب، وكان أصله هاوون، لأنّ جمعه هَوَاوين مثل قانون وقوانين، فحذفوا منه الواو الثانية استثقالاً وفتحوا الأولى لأنه ليس في كلامهم فاعُل بالضم (الصحاح : هون 6 / 2218 وقال ابن فارس : عربيّ كأنّه من الهَوْن (المصباح : ص 643). أقول : ولا يزال يستعمل هذا اللفظ في اللهجة العراقية في الوقت الحاضر بلفظه (هاوَن) بفتح الواو.

(37). ورد في الصحاح : (نحز) 3 / 898.

(38). اللسان (هرس).

(39). الصحاح : (طجن) 6 / 2157 وعلل سبب عجمته بقوله : لأنّ الطاء والجيم لا يجتمعان في أصل كلام العرب.

(40). القاموس : 4 / 382.

(41). الصحاح : (مسك) 4 / 1608 وفيه ذكر أنه فارسي معرب، وقال أيضاً : كانت العرب تسميه (المشموم).

(42). اللسان (شمم).

(43). قال الجوهري في الصحاح : (سكر) 2 / 688 «السُكر فارسي معرب الواحدة سُكّرَة» وورد في المصباح : ص 281 : «قال بعضهم وأوّل ما عمل بطَبَرَزَذ، ولهذا يقال : سُكّر طَبَرْزَذِيّ».

(44). ينظر القاموس : (برت) 1 / 148، والصحاح : (برت) 1 / 243.

(45). الصحاح : 3 / 934 وفيه ذكر أنه معرب والنون زائدة لأنه ليس في الكلام (فَعْلِل)، وفي الكلام (نَفْعِل).

(46). القاموس : (عبهر) 2 / 87.

(47). المصباح المنير : 655 وفيه ذكر أنه معرب.

(48). القاموس المحيط : (حجم) 4 / 95 وفيه ذكر أن الحَوْجَمة : الورد الأحمر والجمع حَوْجَم.

(49). ينظر القاموس : (مغد) 1 / 351.

(50). القاموس : (أنب) 1 / 38.

(51). الصحاح : (خير)2 / 651 وفيه ذكر أنه ليس بعربي كما ذكر الجاحظ في البيان والتبيين : 1 / 20 أنها فارسية وعاب الجاحظ أهل البصرة لاستعمالهم ذلك بدلا من القثاء.

(52). القاموس : (قثد) 1 / 337.

(53). الصحاح : (قثأ) 1 / 64.

(54). الصحاح : (توت) 1 / 245.

(55). القاموس : (فرصد) 1 / 334.

(56). ينظر بحث الأستاذ عبد الحميد العبادي : ثلاث حوادث من التاريخ الاسلامي ساعدت على نمو اللغة وانتشارها / مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 9، ص 47، سنة 1957.

(57). ينظر دراسات في فقه اللغة / د. صبحي الصالح : 319 ــ 320 (ط6).

(58). ينظر في ذلك لغتنا والحياة / د. عائشة عبد الرحمن : ص 153 ــ 155 (ط. دار المعارف بالقاهرة 1971 م).

(59). العربية دراسة في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة د.رمضان عبد التواب : ص 98 (نشر مكتبة الخانجي بمصر 1400 هـ / 1980 م).

(60). المصدر نفسه : ص 104.

(61). المصدر نفسه : ص 109.

(62). طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي : ص 131 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر 1393 هـ / 1973 م).

(63). ينظر العربية، ليوهان فك : ص 110 ــ 118.

(64). القاموس : (سرط) 2 / 377 وفيه ذكر أن الصاد أعلى للمضارعة والسين الأصل، وانظر (صرط) 2 / 384.

(65). ينظر اللسان : (سوق)12 / 36 (طبعة بولاق 1308 هـ) والقاموس : (صوق) 3 / 264 (مطبعة مصطفى البابي بمصر. 1371 ــ 1952) ومشارق الأنوار للقاضي عياض : 2 / 231 (طبعة مصر 1333)، ومطالع الأنوار لابن قرقول : 481 (مخطوط دار الكتب 86 لغة تيشور) وهو دقيق الشعير أو القمح المقلى يطحن، وربما ثري بالسمن.

(67). الابدال لأبي الطيب اللغوي : 1 / 15.

(68). ينظر مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان ص 115 (مطبعة النجاح ــ الدار البيضاء 1400 هـ ــ 1979)، والمدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب ص 38 (ط1 الخانجي بمصر 1403 هـ ــ 1982 م).

(69). المدخل إلى علم اللغة : ص 38.

(70). مناهج البحث في اللغة : ص115.

(71). ينظر شرح المفصل لابن يعيش : 10 / 51 والكشاف : 1 / 15.

(72). شرح المفصل : 10 / 52.

(73). ينظر مناهج البحث في اللغة : ص 115.

(74). ينظر مقال الدكتور عبد الملك مرتاض (في العامية الجزائرية) مجلة التراث الشعبي في بغداد العدد (1 ــ 2) السنة العاشرة ص 24.

(75). ينظر درة الغواص : 19 (مطبعة نهضة مصر 1975)، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي : 29 (طبعة دار المعارف 1973).

(76). ينظر العربية، ليوهان فك : 113.

(77). البيان والتبيين 1 / 70 ــ 74 (تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1948).

(78). البيان : 1 / 39 ــ 40.

(79). أنكر هذا الحريري في درة الغواص : ص 125.

(80). البيان والتبيين : 1 / 162 ــ 163.

(81). تنظر هذه الأمثلة وغيرها في العربية ليوهان فك : ص 115 ــ 118.

(82). تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان 1 / 343 ــ 344 (ط 2ــ مطبعة دار مكتبة الحياة ــ بيروت سنة 1978 م).

(83). ينظر في اللهجات العربية. لابراهيم أنيس : ص 218 (مطبعة لجنة البيان العربي بمصر 1952) ولهجة البدو في ساحل مريوط، عبد العزيز مطر : ص 169 (دار الكتاب العربي بالقاهرة 1386 هـ ــ 1967 م) ولهجة الكوفة الحديثة وصلتها باللغة العربية الفصحى / مناف مهدي محمد : ص 197 (رسالة ماجستير ــ كلية اللغة العربية جامعة الأزهر 1981 م) ولهجة شمال المغرب تطوان وما حولها، عبد المنعم سيد عبد العال : ص 148.

(84). لهجة البدو في ساحل مريوط : ص 169.

(85). لهجة شمال المغرب : ص 149.

(86). مغني اللبيب لابن هشام : ج 1 ص 47 (طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة ــ 1356 هـ)، وشرح ابن يعيش : 3 / 143.

(87). الأمالي الشجرية، لضياء الدين أبي السعادات المعروف بابن الشجري : ص 309 (طبعة حيدر آباد الدكن 1349 هـ).

(88). الجمهرة : 1 / 9.

(89). الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس : ص 234 (الطبعة السادسة 1981).

(90). ينظر المزهر للسيوطي : 1 / 195.

(91). ينظر للفائدة أسباب انتشار اللغة في علم اللغة / د. عبد الواحد الوافي : ص 169 (مط نهضة مصر ط 7).

(92). بحث شارل كوينتر، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ج 8 ص 327 سنة 1955 مطبعة وزارة التربية بالقاهرة.

(93). ينظر في ذلك مجمع اللغة العربية ج 7 مقال الأستاذ محمد فريد أبو حيدر (موقف اللغة العربية العامية من اللغات العربية الفصحى).

(94). ينظر اللهجات في التراث، للدكتور علم الدين الجندي : 1 / 131 (الدار العربية للكتاب — ليبيا — تونس 1978).

(95). لهجة الكوفة الحديثة : 15.

(96). القاموس المحيط : 4 / 318.

(97). ينظر مقال الدكتور عبد الملك مرتاض (في العاميّة الجزائرية) مجلة التراث الشعبي في بغداد العدد 1 — 2 السنة العاشرة 1979 م ص 41.

(98). لهجة الكوفة : 87.

(99). اللهجات في التراث : 1 / 131.

(100). لهجة الكوفة : 120.

(101). مقال الدكتور عبد الملك مرتاض : 32.

(102). الصحاح (وما) 1 / 82.

(103). شفاء الغليل : ص 39 (الطبعة الأولى — المطبعة المنيرية بالقاهرة 1371 هـ — 1952 م).

(104). ينظر في اللهجات العربية / د. إبراهيم أنيس : ص 77 (الطبعة الثانية مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة 1952 م).

(105). ينظر دراسات في فقه اللغة / د. صبحي الصالح : ص 84 (المصدر السابق).

(106). لهجة الكوفة : ص 87.

(107). اللهجات في التراث : 1 / 131.

(108). شرح المفصل : 9 / 54 (عالم الكتب بيروت).

(109). اللهجات في التراث : 1 / 131.

(110). الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس : ص 88 (الطبعة السادسة 1981 م).

(111). العين : 1 / 57 ولسان العرب : (باب الحاء).

(112). سر صناعة الاعراب لابن جني : 2 / 246.

(113). لهجة الكوفة : ص 98.

(114). الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس : ص 88.

(115). لهجة الكوفة : 15.

(116). اللهجات في التراث : 1 / 131.

(117). مقال الدكتور عبد الملك مرتاض : ص 26.

(118). ينظر التطور اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب : ص 37 (مطبعة المدني بمصر).

(119). ينظر الكتاب : 4 / 424 (تحقيق عبد السلام هارون، ط 2) والممتع : 1 / 370 (تحقيق د. فخر الدين قباوه، الطبعة الثالثة 1978 بيروت).

(120). الممتع : 1 371.

(121). الممتع : 1 / 372، والكتاب : 4 / 424.

(122). الكتاب : 4 / 424.

(123). الممتع لابن عصفور : 1 / 372.

(124). نفسه : 1 / 371.

(125). شرح التصريف الملوكي، لابن يعيش : ص 451 (تحقيق د.فخر الدين قباوه ـــ حلب1973 م).

(126). اللهجات في التراث : 1 / 131.

(127). لهجة الكوفة الحديثة : 15.

(128). اللهجات في التراث : 1 / 131.

(129). شرح المفصل لابن يعيش : 3 / 94 (عالم الكتب بيروت).

(130). ينظر اللسان : (أنن).

(131). يرجع نسبه إلى قضاعة (ينظر الشعر والشعراء لابن قتيبة : ص 237).

(132). اللسان : (أنن).

(133). قال الخفاجي في شفاء الغليل ص 38 ايش بمعنى أي شيء خفف منه، نصّ عليه ابن السّيد في شرح أدب الكتاب وصرحوا بأنه سمع من العرب. وقال بعض الأئمة جنبونا ايش، فذهب إلى أنها مولّدة... وقول الشريف في حواشي الرضي أنها كلمة مستعملة بمعنى أي شيء وليست مخففة منها ليس بشيء ووقع في شعر قديم أنشدوه في السير :من آل قحطان وآل ايش.

(قال السهيلي في شرحه (الايش) يحتمل أنه قبيلة من الجن ينسبون إلى ايش، ومعناه مدح، يقولون : فلان ايش وابن ايش، ومعناه شيء عظيم، وايش في معنى أي شيء كما يقال (ويلمّه) في معنى ويل لأمه على الحذف لكثرة الاستعمال.

(134). اللهجات في التراث : 1 / 131.

(135). لهجة الكوفة : 15.

(136). مقال الدكتور عبد الملك مرتاض، مجلة التراث الشعبي : ص 20.

(137). ينظر مجالس ثعلب : 81 (طبعة دار المعارف بمصر).

(138). ينظر المدخل إلى علم اللغة / د. رمضان عبد التواب : 53.

(139). الكتاب : 4 / 432.

(140). الجمهرة 1 / 4 ـــ 5 (ط 1).

(141). ينظر في اللهجات العربية / د. إبراهيم أنيس : 77 (ط 2 ـــ مطبعة لجنة البيان العربي بمصر سنة 1952).

* * *